# المرأة في شعر محمد بن بشير الخارجي

**الدكتورة: ليلي بنت محمد الدخيل(*)**

محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل من بني خارجة من عدوان (65 – 130هـ) كنيته أبو سليمان شاعر فصيح من شعراء الدولة الأموية كان يعيش في البادية منقطعاً لأبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة القرشي(1) وله فيه مدائح ومراث مختارة هي عيون شعره كما ذكر ذلك صاحب الأغاني(2) إلا أنه لفت نظري نصوص شعرية أخرى صاغها الشاعر في علاقاته المتشعبة مع المرأة. إن أهم ما يميز وجود المرأة في حياة محمد بن بشير هو ذلك الشعر الرقيق الذي صور فيه علاقته بالنساء ومحاولة توجيه تلك العلاقات وتقنينها مما يدل على مشاعر صادقة تجاه المرأة.

إن وجود المرأة في شعر شعراء العصر الأموي أمر شائع إلا أن محمد بن بشير الخارجي الذي يشبه شعره الشعر العذري في طهارة العلاقة وبعدها عن المجون لم يلتزم مثل الشعراء العذريين امرأة واحدة بل كان ديوانه أشبه بشعر معاصره الحجازي مثله عمر بن أبي ربيعة (23 – 93هـ) في تعدد النساء داخله,مما يجعل

---

(*) بكالوريوس من كلية الآداب جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن عام 1402هـ.
– ماجستير من الكلية نفسها عام 1408هـ.
– دكتوراه من الكلية نفسها عام 1412هـ.
– تعمل الآن وكيلة عمادة البحث العلمي في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن.

(1) أبو عبيد بن عبد الله. أمه هي زينب بنت أبي سلمه بن عبد الأسد ،وينتهي نسبة من جهة أمه إلى أم سلمه زوج النبي الله صلى الله عليه وسلم سكن الفرش وكان كريما كثير الضيافة تزوج عبد الملك بن مروان من ابنته هند ثم طلقها فتزوجها عبد الله بن حسن فولدت له ابنيه محمد وإبراهيم. أنظر: جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار ص 481, 482. نسب قريش للزبيري ص 222-223, شرح ديوان الحماسة لأبي تمام 42/3.

(2) أنظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 61/16.

الجمع بين الأمرين شبه مستحيل إلا أن الشاعر استطاع أن يحل هذه المعادلة الصعبة بتوجيه تلك العلاقات وتقنينها بحيث جعل لها هدفاً مشروعاً ألا وهو الزواج مما يدل على مشاعر صادقة تجاه المرأة.

والشاعر كأي رجل مسلم جعل علاقته بالمرأة في حدود الشريعة الإسلامية فجعل مراده في علاقته مع المرأة هو الزواج فكانت له عدة زيجات, وبالرغم من أن المصادر لم تذكر معلومات وافية عن زوجاته إلا أنه بجمع الإشارات القليلة حول هذا الموضوع واستنطاق أبيات الشاعر نستطيع التعرف أكثر إلى تلك الزوجات اللاتي استأثرن بجزء من شعر الشاعر قل أن يوجد له مثيل عند شاعر أخر.

و أول ما يظهر من زواجات الشاعر زواجه بابنه عم له سرية جميلة أسمها "سعدي" خطبها غير واحد من سروات قريش فلم ترض بهم ووافقها والدها وفضل عليهم "محمد بن بشير الخارجي" الذي رفض والده الذهاب معه لخطبتها ثقة منه بأنه غير كفء لها , وكذلك كان رأي أبنه عمه فيه؛ إذ غضبت لموافقة والدها استنكرت تصرفه ذاك إلا أن والدها رد عليها بما تعارف عليه العرب حينذاك: هو ابن عمك وأولى الناس بك" لذلك لما تزوجته استخفت به كثيرا ولم تر فيه أكثر من عبد أو خادم, تبعثه وراء غنمها وترسله يتفقد نخلها, علاوة على سوء أخلاقها معه. أما هو فقد ملكت عليه قلبه, وسيطر حبها على عواطفه, لذا ألتمس الحيلة لا الإكراه في تقويمها, فلجأ إلى أيسر وسيلة يملكها؛ لجأ إلى موهبته الشعرية يستعين بها في تقويم أخلاقها, فقال مترنما بحيث تسمعه(3) مصوراً حاله وحالها, وما سينتج عن تصرفاتها معه(4):

تثاقلت إن كنت ابن عم نكحته فملت وقد يشفي ذوو الرأي بالعدل

فإنك إلا تتركي بعض ما أرى تنازعك أخرى كالقرينة في الحبل

(3) أنظر: الأغاني لأبي فرج الأصفهاني 84/16.

(4) شعر محمد بن بشير الخارجي ص 114.

تلزك ما اسطاعت إذا كان قسمها كقســمك حقــا في الــتلاد وفي البعل

فهو في قمة غضبه منها يصفها بأنها امرأة عاقلة من ذوات الرأي لذا يشعر أنه سيشفيها بعتبه ذاك, ولكن إن لم تشف فهو سيؤديها بامرأة أخرى تضايقها كل حياتها وتقاسمها الزوج والميراث, وتهديد الشاعر لها بتأديبها بامرأة أخرى يدل على أنه قال هذا الشعر بعد أن أطالت في تعذيبها له وتحاملها عليه, وعلق صاحب الأغاني على هذا الشعر بقوله "فصلحت ولم ير منها بعد ما سمعت شيئا يكرهه(5) إلا أنها على ما يبدو لم تستمر طويلا على هذا الحال؛ لذا نفذ ما وعدها به فأدبها بالزواج بامرأة أخرى من قبيلة أشجع ويظهر أن زواج الشاعر بالمرأة الأشجعية لم يغير كثيرا من أخلاقها فضج في شعره من كثرة إيذائها له وأعيته الحيلة في التخلص من محبته لها فكان في محاولة أخرى لتأديبها يهجرها ثلاثاً ويقيم عند زوجته الأخرى ولكن الشوق يشده إليها(6) قال(7):

أراني إذا غالبت بالصبر حبها أبي الصــبر مــا ألقــى بســعدي فأغلب

وقد علمت عند التعاتب أننا إذا ظلمتنا أو ظلمنا سنعتب

وإني وإن لم أجــن ذنبــا ســأبتغي رضــاها وأعفــو ذنبهــا حــين تذنب

(5) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني 85/16.
(6) أنظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 82/16.
(7) شعره ص 47.

فالحب يغلب صبره,وهي تعلم أنه لن يعاتبها وسيشتري رضاها, وعبر عن ذلك بأبيات لطيفه تفيض محبة وإعجابا بتلك المرأة وقناعة تامة بأنة أسير لحبها حتى أنه لو لم يذنب فسيتأسف لها، وإن أذنبت فهو سلفا غافر لذنبها.

ويختم الشاعر أبياته بقوله(8):

وإني أذا أذنبت فيها يزيدني بها عجبا من كان فيها يؤنب

والملاحظ أن كلمة "أذنبت" قلقة في موضعها منبتة الصلة بقوله في العجز "يؤنب" والمناسب هنا " أنبت" وهذا البيت أحسبه من أجمل الأبيات في التعبير عن الحب والإعجاب اللذين ملا قلب الشاعر بل وعقله. وهو طريف في معناه؛ فكل كلمة تقال ضدها من المؤنبين تزيد الشاعر إعجاباً ومحبة فكيف إذا مدحت أمامه بل ما هو السبيل للخلاص من هذا الحب الذي يزيد حتى بالذم!

إن تصوير الشاعر لمحبته لسعدي أضاف إلى الشعر العربي معاني جديدة إذ هو حب تمكن من قلب الشاعر يقابله كراهية متأصلة في قلب سعدي, كراهية يعلن الشاعر معرفته بها ويمنعه صدقه الفني من تزويرها أو تجميلها فهو يعبر عنها في جرأة تفيض بالمعاناة وصدق يتحدى كرامة الرجل ومحبة تأبى الاختباء.

ومحمد بن بشير كما سلف ليس جاهلاً بحقيقة مشاعرها تجاهه, فهو يعلم أنها لا تكن له الحب, وتلتمس كل وسيلة لإيذائه فعندما بدأه أقرباؤها بالهجاء, غضب لذلك فأجابهم وهذا شيء متوقع من شاعر

(8) شعره 47.

إلا أن سعدي لم تتوقع أن يرد على قرابتها واستكثرت ذلك منه وغضبت عليه(9) فقال ذاكراً هذا الموقف(10):

فأما ما أقول لهم فعابت على وقد هجيت فما تعيب

فرمت وقد بدا لي ذاك منها لأهجوها فيمنعني النسيب

فهو يراها لا تعيب على قرابتها هجاء زوجها لاستهتارها به وتعيب عليه بل تغضب لهجائه إياهم ولكنه كما ذكر في الشعر السابق يعود فيؤكد هنا أن محبته لها تمنعه من معاتبتها أو السخط عليها.

أما زوجته الأشجعية التي كناها في شعره بأم سعد(11) فلم يكن لها دور في حياته أو حضور في شعره كما كان لسعدي فهي فقط وسيلة لتأديب سعدي؛ ولأن سعدي لم تتأدب استمر عقابها ممثلا في بقاء الأشجعية زوجة له وقد علق الشاعر –كما سيرد– امرأة الأنصار فلم يعجبها فقالت" والله ما أرى فيه من خير وما أشبهه إلا بعبدنا أبي الجون" فكانت الأشجعية إذا غضبت من الشاعر أو أغضبها كنته أبا الجون(12) فقال(13):

وأيدي الهدايا ما رأيت معاتبا من الناس إلا الساعدية أجمل

وقد قال أهلي حين كنيت كنية أبا الجون فاكسب مثلها حين ترحل

---

(9) أنظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 79/16.

(10) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 79/16 والبيت الثاني فقط في شعره ص 34.

(11) أنظر: شعره ص 36.

(12) أنظر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 79/16.

(13) شعره ص 109.

وإن بات إيضاعي بأمر مسرة لكـــن فمـــا تســـخطن في العـــيش أطول(14)

فالشاعر يفتتح مقطوعته ببيت يؤذي فيه مشاعر الأشجعية فالأشجعية ما كنته أبا الجون إلا لائمة له على علاقته بالآسلمية لذا عقد موازنة بين الأسلمية وجميع المعاتبات والأشجعية منهن وفضل الآسلمية عليهن جميعاً. واختتم المقطوعة بتحد سافر لزوجته الأشجعية؛ إذ قال: إذا كان سرك مني أمر كتعييري بأبي الجون, فما أسخطك وما سيسخطك مني أكثر.

وإذا تأمل القارئ هذه الأبيات أحس بالفرق الشاسع بين مشاعر تجاه ابنه عمه "سعدي" التي يعلن صراحة عدم قدرته على إغضابها بل معاتبتها ويعلن أن حبه يدفعه للصفح عن أخطائها مهما عظمت وبين مشاعره تجاه زوجته الأشجعية التي لا يعاتبها لتعييره بأبي الجون ،بل يعاقبها في هذه الأبيات شر عقاب بأسلوبه الساخر منها وتحديه السافر لها .مما يدل على أن الشاعر لا يصدر في شعره إلا عن عاطفة صادقة ولا يعبر إلا عن حقيقة ما يكنه للآخرين لا يحمله خوف أو طمع أو نفاق على تزوير مشاعره؛ لذا يعتقد المرء أن هذا سبب عد النقاد لمدائحه ومراثيه عن عيون الشعر العربي(15).

ودفعت الظروف الشاعر إلى الحديث أكثر عن زوجتيه في قصيدة طويلة، صاغها الشاعر وهو بعيد عنهما في بلاد العراق حيث تعلق قلبه بامرأة خارجية هناك تدعي "عائشة" رفضت أن تجتمع مع امرأتيه واشترطت طلاقهما لترحل معه إلى دياره مما أرق الشاعر كثيراً. وفي محاولة من الشاعر لإنهاء هذه المعاناة التي

(14) إيضاعي: لإيضاع السير السريع يقول إن كنت سارعت في أمر يسركن فما يسوءكن مني في مستقبل الأيام أكثر.

(15)أنظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 61/16.

كانت ثقيلة على نفس الشاعر الحنون تطلع إلى استعادة ثقته بنفسه عن طريق مدح زوجتيه فإن خسر "عائشة" فقد ربح امرأتيه فبدأ بالحديث عن "أم سعد" وهي الأشجعية، فقال(16):

وأبلغا أم سعد أن غائبها أعيا على شفعاء الناس فاجتنبا

إني وما كبر الحجاج تحملهم بزل المطايا بجنبي نخلة عصبا

وما أهل به الداعي وما وقفت عليا ربيعة ترمي بالحصى الحصبا

جهدا لمن ظن أني سوف أظعنها عن ريع غانية أخري لقد كذبا

أ أبتغي الحسن في أخرى وأتركها فذاك حين تركت الدين والحسبا

فقد كذب حدسه من ظن أن الشاعر سيترك زوجتيه ليعيش مع غانيه أخرى فأم سعد أحسن الغواني عنده، لذلك لا يتركها ليبحث عن أخرى إلا إذا ترك الدين والحسب وهو ليس بتارك لهما، ويؤكد الشاعر كلامه هذا لأم سعد بقسم يسبق هذا الكلام وليس أي قسم والقسم في حد ذاته أمر عظيم ،بل قسم يربطه بفريضة معظمة وأماكن مقدسة وزمن كريم حتى يعطي هذا القسم وزنه. والقسم بهذه الصورة موجود كثيراً في الشعر العربي بيد أن الباحث يحسب الشاعر أراد أن يؤكد محبته لأم سعد بقسم طال حتى استوعب بيتين؛ لأن هذا الحب محل شك لديها ولدى الناس وقد يكون كذلك لدى الشاعر.

ثم ثنى بالحديث عن مؤرقة همومه "سعدي" فأطال الحديث(17):

ولا انفضي الهم من سعدي وما علقت مني الحبائل حتى رمتها حقبا

---

(16) شعره, ص36.

(17) شعره ص 36.

وما خلوت بها يوما فتعجبني إلا غدا أكثر اليومين لي عجبا

فقد طال همه معها وأمضى دهوراً في محاولة إصلاحها، فإذا خلا بها وأعجبته- وهي دائما تعجبه- استغرب ذلك كثيراً لما عرفه عنها من كراهية له تشفعها بسوء أخلاقها في معاملته ثم يحاول إجابة من يلومه فيها ويعطي أسبابا لتمسكه بها بالرغم من صلافتها في معاملته، فهو ما يزال في العراق ومجال الاختيار ما زال مفتوحاً أمامه لكنه يحاول أن يغلقه بأبياته فقال(18):

يا أيها السائلي ما ليس يدركه مهلا فإنك قد كلفتني تعبا

فإن يكن لهواها أو قرابتها حب قديم فما غابا ولا ذهبا

هما على فإن أرضيتها رضيا عني وإن غضبت في باطل غضبا

كائن ذهبت فرداني بكيدهما عما طلبت وجاءها بما طلبا

فالقرابة والهوى القديم يسعيان لها عند الشاعر ويردانه إلى كل ما تريد حتى لو كان غضبها في باطل وأعتقد أنه الحب فقط الذي يدفع الشاعر إلى مراضاتها ففي كل مقطوعة يعيد ويكرر هذا الحب الذي يشفع لها في كل أمر, وقد يكون الشاعر زاد القرابة لتزيد رجاحة كفتها مع ضرتها ليقنع من حوله, بل ليقتنع بسلامة رأيه في الرجوع إلى الروحاء، ثم ختم قصيدته بإعطاء رأيه في سعدي(19):

أنتِ الظعينةُ لا يُرمى برمتها ولا يفجعُها ابنُ العم ما اصطحبا

حقاً إن الشاعر لا يفجع سعدي ما وجد لذلك سبيلاً.

---

(18) شعره ص 36, 37.

(19) شعره ص 37.

ولكن مسلسل الزواج عند الشاعر لم يتوقف بعد إحباطه مع "عائشة بنت يحيي ابن يعمر "فقد أجدب عليه منزله في سنة من السنين وأمطرت السماء في موقع غير بعيد فأرسل غنمه إلى ذلك الموضع, ثم سأل زوجتيه أن يسيروا معاً لموضع الغنم؛ ليطمئنوا عليها ويستفيدوا من حليبها, فرفضتا المسير معه, وتقاعستا عن تنفيذ رغبته واقترحتا عليه أن يذهب وحده ويجلب الغنم لمكان متوسط فيجتمعون معه فيه وأعطتاه وطبين ليجمع فيهما الحليب حتى وقت اللقاء، والشاعر من طبيعته الإخلاص لذا صرف غنمه للمكان المتفق عليه في الوقت المتفق عليه أما زوجتاه فليس طبعهما كطبعه إذا أمطرتهما السماء في موضعهما فبقيتا تستمتعان بالماء والعشب ونسيتا ذلك الزوج المخلص الذي أضناه التعب وهو يصعد الجبل ويهبطه يتبصرهما ولا من قادم. وقدم عليه زوجان كبيران في السن معهما ابنه شابة فخطبها منهما فلما انتسب لهما الشاعر وعرفاه وافقا على تزويجه، فأمهرهما جزءا من غنمه، وبني بزوجته الجديدة وهو في انتظار قدوم زوجتيه، حتى إذا أعياه الانتظار ذهب إلى منازله بزوجته الجديدة وبقية غنمه فوجدهما لم تبرحا مكانهما(20) فخفف غضبه العقاب الذي وافاهما به وهو إشراك ثالثة معهما, وقال لهما(21):

كأني موف للهلاك عشية  بأسفل ذات القشع منتظر القطر(22)

وأنتن تلبسن الجديدة بعدما  طردت بطي الوطب في البلد القفر

فهو قد غامر بالرحيل إلى مكان مجدب قبل نزول المطر عليه – ليكون أول يرعاه وسمي رحيله وحيدا"طردا" فكأنما بعد موافقتهما على الذهاب معه طردتاه من عندهما, ثم تابع بعد أن عرفهما جرمهما بذكر عقابه(23):

---

(20) أنظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 65/16, 66.

(21) شعره ص 70.

(22) ذات القشع: الأرض التي يبست من الجفاف.

(23) شعره ص 70.

فكان الذي قلتن أعدد بضاعة لتأخذ بيضاء الترائب والنحر

تكون بلاغا ثم لست بمخبر إذا وديت لي ما وديتن ما أمري؟

فهما بتصرفهما ذلك كأنما ساعدتاه على أن يحافظ على غنمه ليدفع منها المهر لهذه المرأة الجميلة, ثم بين البيت الثاني أنها تحذير لهما من عصيانه، وإن لم تكن بمأمن هي الأخرى من عقابه إذا تطبعت بطباعهما.

وقد اقترن الشاعر أيضاً بزوجة رابعة إلا أنه لم يضمها لنسائه في الروحاء قد استفردت به حتى طلقها تلك التي سماها في شعره "زينب" تزوجها في البصرة: وكانت امرأة غنية نعم معها بالحاضرة وما فيها من الخيرات ونعم معها بمالها وثرائها إلا أن حنينه لباديته دفعه إلى أن يطلب منها الرحيل معه فرفضت وأبت فلا موازنة بين البصرة والبادية بين الخصب والقحط بين الثراء والفقر في رأيها، فلم يجد بداً من الطلاق, فطلقها ورحل إلى الحجاز, ثم ندم على طلاقها(24) فقال(25):

باتت لعينك عبرة وسجومُ وثوت بقلبك زفرة وهموم

طيف لزينب ما يزال مؤرقي بعد الهدو فما يكاد يريم

وإذا تعرض في المنام خيالها نكا الفؤاد خيالها المحلوم

(24) أنظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 75/16.

(25) شعره ص 122.

فالشاعر لم يذكر أنه ذرف الدمع على فراق محبوبة سواها، والشاعر لا يصدر في شعره إلا عما يحس فعلا، فهذا دليل على حزنه الشديد على فراقها, وبعد المكان بين الشاعر وزينب أفسح مجالا للشاعر ليتحدث على الطيف، وطيف زينب لا يتركه أبداً لذا أرق نومه وأتعب فؤاده ،ثم واصل(26):

أجعلت ذنبك ذنبه وظلمته عند التحاكم والمذل ظلوم

ولئن تجنيت الذنوب فإنه ذو الداء يعذرُ والصحيح يلومُ

ولقد أراك غداة بنت وعهدُكم في الوصل لا حرج ولا مذموم

ففي هذا المقطع يتحدث الشاعر عن السبب الذي دفعهما إلى الطلاق، فبدأه باستفهام إنكاري فقد جعلت ذنبها في رفضها المسير معه إلى الروحاء ذنبه في إصراره على الرحيل, فاتهمته بالذنوب وهو منها براء. ومع ذلك لا ينسى الشاعر الوفي أنها قبل الانفصال حين كانت في عصمته كانت تتمتع بأروع الصفات وأجملها مما يحسبه المرء لا يسلى الشاعر الآن بل يزيده حزناً على فراقها.

والشاعر كعادته في الصراحة يعلن عن عدم صبره على فراقها فقال(27):

ولقد أردت الصبر عنك فعاقني علق بقلبي من هواك قديم

يبقى على حدث الزمان وريبه وعلى جفائك إنه لكريم

وأذيته زمنا فعاذ بحلمه إن المحب عن الحبيب حليم

وزعمت أنك تبخلين وشفه شوق إليك وإن بخلت أليم

---

(26) شعره ص 122.

(27) شعره ص 122.

فالبيتان الأولان جعلهما صاحب كتاب الزهرة من الأبيات التامة في معناها(28) فالشاعر لا يستطيع نسيانها بسبب حبها القديم الثابت، وجميل جداً التعداد في البيت الثاني, فهذا الهوى القديم باق رغم مرور الأيام عليه، وحوادث الزمان التي تبلى كل جديد وثالثة الأثافي جفاؤها فهو إذن حب حقيق بوصفه أنه حب كريم أصيل. وفي البيتين الأخيرين يوازن بين أسلوبيهما في التعامل فهو يحلم وهي تصر على إيذائه، وهي تبخل في حبه وهو يصر على حبها ويزيد فيه.

إن معاناة الشاعر مع زينب معاناة مريرة أرقته فعلاً, وجعلت منه حكيماً؛ إذ دفعته لإطلاق خلاصة تجابه التي خبرها وإن لم يرضها مثل قوله: "المدل ظلوم و"ذو الداء يعذر والصحيح يلوم" و"إن المحب عن الحبيب حليم"

والحلقة الأخيرة من مسلسل زواجات الشاعر كانت عندما أسن الشاعر, إذ تزوج من امرأة شابة من بني ليث(29) وسياق الخبر يدل على أنه لم يكن على ذمته حينذاك سوى سعدي التي لم ترضه يوماً أما الباقيات فقد يكن فارقنه بموت أو طلاق، قال مخاطباً سعدي(30):

| | |
|---|---|
| لئن عانس قد شاب ما بين قرنها | إلى كعبها وامتص عنها شبابها |
| صبت في طلاب اللهو يوما وعلقت | حجابا لقد كانت ستيراً حجابها |
| لقد متعت في العيش حتى تمتعت | من اللهو إذ لا ينكر اللهو بابها |
| فبيني برغم ثم ظلي فربما | ثوى الرغم منها يثوى نقابها |

(28) أنظر: الزهرة لابن داود الأصبهاني 236/1.
(29) أنظر: المصدر السابق 80/16.
(30) شعره ص 44.

فسعدي بدلاً من أن تحزن أو تغار لزواجه عليها, قابلت هذا الحدث بمنتهى الاستهتار فضربت بينه وبينها حجاباً وليس هذا بجديد عليها فطالما أسدلت بينها وبينه الحجب كلما غضبت، بل زادت أن دعت نسوة من عشيرتها وجلست معهن يلهون بالدفوف والغناء وهذا أيضاً ليس بجديد عليها فقد عاشت حياة لاهية مترفة طوال عمرها. ويلاحظ اختلاف لهجته في مخاطبتها عن لهجته السابقة، فهو يستهين بتصرفها ذاك ولا يؤثر في نفسه كما أثر غضبها فيه عندما هجا أقاربها مثلاً ويعيرها بالعانس ذات الشيب غير ذات الشباب، ثم يطلب منها أن تبتعد عنه مرغمة، وقد يكون طول زمن العشرة أبلى حرارة المحبة خاصة أنها عشرة غير طيبة تئن بالمشكلات. وليزيد من غيظها بدأ في مدح زوجته الجديدة من ناحية الشكل ومن ناحية الحسب والنسب(31):

لبيضاء لم تنسب لجد يعيبها ... هجان ولم تنبح لئيما كلابها(32)

تأود في المشى كأن قناعها ... على ظبية أدماء طابت ثيابها

مهفهفة الأعطاف خفاقة الحشى ... جميل محياها قليل غيابها(33)

إذا ما دعت بابني نزار ونازعت ... ذرا المجد لم يردد عليها انتسابها

فكأنما الشاعر هنا ينتقم من سعدي إذ يتذكر الصفات التي تتمتع بها سعدي من الجمال والثراء ورفعة الأصل، ويضفيها على هذه الزوجة الجديدة، بل تزيد عليها أنها "قليل عتابها" وهذا ما تفقده سعدي تماماً في نظر الشاعر,مع الفارق بين حالي الزوج "الشاعر" فحين بني سعدي كان في ريعان شبابه وكانت أول امرأة في حياته والليثية اختارته وقد كبر سنه ولها شريكة فيه.

---

(31) شعره ص 44.

(32) الهجان: الكريمة الحسب التي لم تعرق فيها الإماء تعريقاً وقيل: أحسن البياض وأعتقه.

(33) مهفهفة: دقيقة, الأعطاف: الجانبان خفاقة الحشى: ضامرة البطن.

وهذه هي العلاقات النسائية في حياة محمد بن بشير التي كتب لها أن تنتهي بالزواج، وكتب لها محمد بن بشير الخلود بشعره وظروف الحياة المختلفة وضعت نساء كثيرات في طريق محمد بن بشير، فما كان من الشاعر إلا أن سعى لتوطيد هذه العلاقة وتسجيلها في شعره.

ومن هذه الظروف موسم الحج الذي يجمع المسلمين من مختلف أصقاع الأرض وتتقابل القبائل العربية من جميع الجهات، ويمكث الحجاج مدة من الزمن في بقعة صغيرة فيسهل التقابل والتعارف وتبادل الأحاديث بين الحجاج فيتعارف الرجال بالرجال والنساء بالنساء،وقد يحدث أن يعلق الرجل امرأة في هذا الموسم وهذا ما حصل مع محمد بن بشير، فقد علق في الحج امرأة غفارية أعجبها حديثه ومالت لشعره فظلت ليلة كاملة تبادله الحديث حتى لامهما على ذلك رجل: فالموسم حج والمكان المسجد الحرام وحالتهما الإحرام(34) فلم تكلفه الغفارية عناء الدفاع عنهما بل بادرت ترد على اللائم مما أثلج صدر الشاعر فحرص على تسجيل الموقف في شعره فقال(35):

| | |
|---|---|
| وقد زعم العواذل أن يومي | ويومك بالمحصب ذي الجمار |
| من الأعباء ثم زعمت أن لا | وقلت لذي التنازع والتماري |
| كذبتم ما السلام بقول زور | و لا اليوم الحرام بيوم ثار |
| ولا تسليمنا حرما بجرم | ولا الحب الكريم لنا بعار |

فيتضح من دفاعها عن علاقتهما قوتها وجرأتها فهي تتصدى للرد على اللائمين وتصف علاقتهما بأنها "حب كريم" وقد تقصد بذلك حب الشعر والحديث البريء ،وقد تكون تلك الجلسة التي تفرق

(34) أنظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 73/16.
(35) شعره ص 72.

حاضروها وبقي فيها الشاعر مع صاحبته بداية العلاقة بينهما. إلا أنه على ما يبدو لم تستمر العلاقة بهذه الطريقة البريئة فصور حالة مشفقاً على نفسه(36):

أ مالك أن تزور وأنت خلو  صحيح القلب أخت بني غفار

فما برحت تعيرك مقلتيها  فتعطيك المنية في استتار

وتسهو في حديث القوم حتى  تبين بعض أهلك ما توارى

فالشاعر يعترف انه استمر يتردد عليها وهو معافى القلب حتى أصابته سهام عينيها فقضت علي عقله بهما وأفقدته القدرة على التركيز ولاحظ من حوله هذا.

وقد كان لعيني الغفارية تأثير كبير في الشاعر، فذكرها في قصيدة أخرى فقال(37):

فكان حظك منها نظرة طرفت  إنسان عينك حتى ما بها نظر

وقد نظرت وما ألفيت من أحد  يعتاده الشوق إلا بدؤه النظر

جنية أو لها جن تعلمها  رمي القلوب بقوس ما لها وتر

فهي تستغل جمال عينيها أحسن استغلال حتى فاقت البشر في ذلك فبدت كأنها من الجن أو هناك من يعلمها من الجن. إن كل ما حصل عليه الشاعر منها هو مجرد نظرة واحدة أعمته عن رؤية أية سعادة سواها والشاعر هنا حريص على إطلاق خلاصة تجاربه فيقول إنه تأمل في حال المحبين فرأى أن النظر هو بداية المحبة لا سواه.

---

(36) شعره ص 72.

(37) شعره ص 74.

وليس الجمال فقط في عينيها – وإن كان مصدر آسره هو هاتين العينين – بل كل ما فيها جميل, فقال(38):

تجلو بقادمتي ورقاء عن برد  حو المفاخر في أطرافها أشر(39)

خود متبلة ريا معاصمها  قدر الثياب فلا طول ولا قصر(40)

إذا مجاسدها اغتالت فواضلها  منها روادف فعمات ومؤتزر(41)

بيضاء تعشو بها الأبصار إن برزت  في الحج ليلة إحدى عشر القمر

فهي جميلة الشفتين والأسنان, ريا المعاصم, متوسطة الطول, ضخمة الأرداف والعجز, وذلك الجمال كله يكسوه بياض ناصع برداء حسن, وفي البيت الأخير نلاحظ أن الشاعر جعل خروجها مشرقة ليلة إحدى عشرة دون غيرها،وعادة ما يضرب العرب المثل في الإشراق بليلة أربع عشرة أو خمس عشرة, ويبدو أن الشاعر اختار هذه الليلة؛ لأنها توافق يوم العيد وفيها يكون التحلل الأصغر مما يدل على معايشة الشاعر لأبياته وحرصه على تصوير الواقع بصدق.

وهذه الغفارية على ما أكرمها الله به من جمال تميزت ببخل شديد وتمنع اشتكى منه الشاعر(42):

يا أحسن الناس لولا أن نائلها  قدما لمن يبتغي ميسورها عسر

---

(38) شعره ص 74.

(39)تجلو: تكشف قادمتي: قوادم ريش الطائر أربع ريشات في مقدم الجناح وهي ضد الخوافي. البرد: حب الغمام يريد أسناها. حو: ضاربة إلى السمرة. فاخر: مغارز الأسنان.

(40) خود: الفتاة الحسنة الخلق الشابة. وقيل الجارية الناعمة. متبلة: تامة الخلق أنفرد كل شيء منها بحسنه.

(41) المجاسد: الثياب الرقيقة. الفواضل: الثياب العريضة. الروادف: السيقان. فعمات: ممتلئات.مؤتزر: يريد العجز.

(42) شعره ص 74.

وإنما دلها سحر لطالبه وإنما قلبها للمشتكي حجر

وقد أطلت اعتلالا دون حاجتنا بالحج أمس فهذا الحل والنفر

أكنت أبخل من كانت مواعده دينا إلى أجل يرجى وينتظر

فهي أحسن الناس إلا أنها لا تلين لطالب, وقلبها لا يرحم مشتكياً من هوى, ولترضيه تعللت له بالحج, ووعدته كما يعد الدائن بالقضاء بعد الحج, وانقضى الحج ولم تف بوعدها. وتمنع الحبيبة من الصفات المطلوبة التي تمدح بها المرأة في ذلك الوقت لذلك وردت كثيراً في الشعر العربي القديم.

وهذا الجمال الفائق والتمنع الزائد أصاب الشاعر في مقتل, فهو قتيل هواها من أول يوم قابلها فيه(43):

قتيل يوم تلاقينا وأن دمي عنها وعمن أجارت من دمي هدر

واستمر قتيلا دون قود(44):

فمت يا قلب ما بك من دفاع فينجيك الدفاع ولا فرار

فلم أر طالباً بدم كمثلي أود وحسن مطلوب بثار

إذا ذكرا بثأري قلت سقيا لثأري ذي الخواتم والسوار

(43) شعره ص 75.

(44) شعره ص 72.

فقد أطال في وصف ثأره هذه المرة إلا أنه وصف يغلب عليه التندر, فهما (طرفا الثأر) غريبان فالطالب بالثأر يحمل الود للمطلوب بالثأر والمطلوب بالثأر يحمل الحسن في نظر الطالب, بل إن الطالب بالثأر إذا ذكر ثأره دعا له بالسقيا من شد محبته له.

وكان أكبر هاجس يؤرق الشاعر هو ساعة الرحيل ولابد منها لذلك أطلق العنان لخياله لإطالة مدة اللقاء فتمنى(45):

هل تذكرين كما لم أنس عهدكم وقد يدوم لعهد الخلة الذكر

قولي وركبك قد مالت عمائمهم وقد سقاهم بكأس السكرة السفر

يا ليت أني بأثوابي وراحلتي عبد لأهلك هذا العام مؤتجر

فهو يتخيل قومها وقد غلبهم النعاس وهم على ظهور الإبل لشدة التعب والإرهاق حتى مالت عمائمهم وأسكرهم الإجهاد لبعد الشقة وطول المسافة فتمنى على سوء تلك الحالة أن يكون خادماً أجيراً عند قومها بزاده وطعامه وراحلته حتى لا يكلفهم مؤونه: ليجد بذلك عذراً في القرب منها ورؤيتها وقوله: "يا ليت أني..... البيت" من الأبيات الطريفة التي لا يتوصل لمعناها إلا بما قبلها(46) فالحب جعله يتمنى أن يكون عبداً عند قومها، بل يتمنى أن يكون مملوكاً عندها تتصرف فيه كيف شاءت(47):

تقضين في ولا أقضي عليك كما يقضي المليك عل المملوك يقتسر

---

(45) شعره ص 74.

(46) أنظر: إصلاح ما غلط فيه النمري للأسود الغندجاني ص 133.

(47) شعره ص 75.

وإن لم تتحقق أمنيات الشاعر في بقائها معه، أو رحيله مع قومها فلا ينسى الشاعر أن يتمنى لها الخير(48):

فإن لم نلقكم فسقى الغوادي بلادك والرويات السواري

واحسب هذا منتهى "الحب الكريم" والآيثار المطلق. وعلاقة الشاعر مع الغفارية في الحج تستحق من الباحث هذه الوقفة الطويلة؛ لأن الأبيات تدل فعلاً على محبة وإعجاب شديد بتلك المرأة.

ومع ما أصاب الشاعر من خيبة أمل في علاقته بالغفارية في موسم الحج، فإن الشاعر الذي تستهويه المرأة كثيراً لم يستفد من تجربته السابقة وسمح بتكوين علاقة نسائية في موسم حج أخر حيث صحب جماعة من قضاعة كانت فيهم امرأة جميلة وكما بدأت علاقته مع الغفارية بالحديث والمسامرة بدأت مع القضاعية وتطورت إلى طلب الزواج الذي وقف حائلاً دونه بعد المسافات بين بلادها وبلاده (49) فمعني زواجها به انقطاعها عن أهلها فترات طويلة أو بقية عمرها مما زهدها في الشاعر الذي رصد هذه العلاقة في شعره فقال(50):

استغفر الله ربي من مخدرة يوما بدا لي منها الكشح والكتد(51)

من رفقة صاحبونا في ندائهم كل حرام فما ذموا ولا حمدوا

حتى إذا البدن كاست في مناحرها يعلو المناسم منها مزبد جسد(52)

---

(48) شعره ص 72.

(49) أنظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 67/16.

(50) شعره ص 63.

(51) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع, الكتد: ما بين مفرز العنق إلى موضع الكتفين.

(52) كاست: عرقبت استتعدادا لنحرها. مربد جسد: المزيد والجسد الدم اليابس.

أقبلت اسألها ما بال رفقتها وما أبالي أ غاب القوم أم شهدوا

فقربت لي واحلولت مقالتها وخوفتني وقالت بعض ما تجد

أني ينال حجازي بحاجته إحدى بني القين أدنى دارها برد(53)

فأبيات الشاعر في القضاعية تختلف اختلافا بينا عن أبياته في الغفارية, فهنا مع أن المصادر تذكر أنه خطبها إلا أن مشاعره تجاهها لم تكن بتلك القوة والمتانة التي كانت مع الغفارية فأبياته فيها موجزة لا يوجد فيها تغن بجمالها أو تدله بحبها وهو مع الغفارية يتغنى بجمالها أو تدله بحبها وهو مع الغفارية يتغنى بجمالها ويشدو بحبها. بل هو يذكر الغفارية بوعودها في وقت الحج كي تنيله أياها في الحل، أما مع القضاعية فقد افتتح المقطوعة باستغفار الله من رؤية ما يحرم منها في حين انه مع الغفارية يئن بالشكوى من تمنعها ووعودها الزائفة. وجعل قدومه على القضاعية بعد الحل لا التنفيذ وعد فقد أعطت في الإحرام

ما لم يصب إليه، إنما ليسأل عن قومها الذين قدم معهم للحج وسيعود معهم بعد الحج، فانتهزت هي الفرصة لتبثه هواها فهي التي قربت إليه هامسة وألانت من صوتها كي تستميلة وهى التي"تجد الألم" عندما أعلنت رأيها في علاقتهما وأنه يصعب أن يلتقيا بالزواج مع بعد بلديهما. فهمي تنقل إليه مخاوفها بالفراق بينما كان مع الغفارية ينتظر هذه اللحظة لحظة الحل لإنفاذ وعودها وهو(أي الشاعر) من يحمل هم الفراق ويتخيل الحلول المستحيلة لتأجيله حتى رضى في شعره أن يصبح خادما أجيرا عند قومها حين ارتحالهم إلى بلادهم ليطيل أمد اللقاء ولو فترة الرحلة. فعلاقة الشاعر بهاتين المرأتين تؤكد ما ذكر سابقاً من أن الشاعر لا يصدر في شعره إلا عما يحس فعلاً فقد أحب الغفارية فأطال في مدحها والدعاء لها ولم يكن هذا شعوره مع القضاعية فلم يمدحها أو يثن عليها أو حتى على قومها فهم "ما ذموا ولا حمدوا "ولم يهتم بمشاعرهم وهو

(53) برد: ماء لبني ألقين.أنظر: معجم البلدان لياقوت الحموي 377/1 (برد).

يخاطب إحدى نسائهم "وما أبالي أ غاب القوم أم حضروا". ويدل على أن الغفارية كانت فعلاً عفيفة لم تنله منها شيئا؛ لأن الشاعر بصراحته المعهودة كان سيذكره كما ذكره عند القضاعية.

ومن الأمور التي أرقت الشاعر بعلاقة نسائية مكتوب لها عدم الاستمرار، نزوح بعض القبائل عن أماكنها بحثاً عن المراعي، وهي صائرة إلى ديارها حتما إذا أخصبت أراضيها، وقد أجدبت بلاد مزينه فجاوروا قوم الشاعر وكان فيهم امرأة أيم تدعي "عبده بنت حسان المزنية" وكانت أحاديثها لطيفة تعجب السامع كانوا يعشقون من غير ريبة، فكان لا يستنكر من الرجل أن يجيء فيحدث أهل البيت ثم يذهب(54) فكان الشاعر يتردد على خبائها يسمع أحاديثها ويسمعها شعره، فكانت تستقبله في خبائها وإن تأخر الوقت اباتته عندها، مما أزعج قومها فنهوها عنه لئلا يظن بهما الظنون فلما مضى الشاعر إليها ذات يوم فوجئ بها تمنعه مقتنعة بمقالة قومها(55), فقال(56):

ظللت لدى أبياتها وكأنني ... أسير معنى في مخلخله كبل(57)

أخيرا إما جلسة عند كاره ... وإما مراح لا قريب ولا سهل

فهو لا يستسلم لقرارها بل ظل عند بيتها كالمقيد ينتظر الأذن، أما هي فلا تحيد عن رأيها وتدفعه للإقامة عند غيرها, ثم قال(58):

فإنك لو أكرمت ضيفك لم يعب ... عليك الذي تأتين عم ولا بعل

---

(54) الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي 56/2.
(55) أنظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 71/16.
(56) شعره ص 107.
(57) مخلخله/ موضع الخلخال من السابق. كبل: قيد
(58) شعره ص 107.

فالشاعر يحاول أن يتلاعب بأسماء الأشياء، فيسمى إقامته عندها واستقبالها له "إكرام الضيف" في محاولة لإقناعها لإعادة الوضع السابق عهده، ثم يصور طهر هذه اللقاءات بأسلوب بديع فهي علاقة لا يعيبها البعل أو العم واختارهما بالذات لأن أحدهما يمثل عائلة المرأة القديمة والآخر يمثل عائلتها الجديدة، ثم أنهما من يرتبط اسمهما باسم المرأة فالأول يرتبط اسمه باسمها مباشرة والآخر يرتبط اسمه بأسماء أبنائها، ثم قال مادحاً لها(59):

وقد كان ينميها إلى ذروة العلا ... أب لا تخطاه المطية والرحل

فهل أنت إلا جنة عبقرية ... يخالط من خالطت من حبكم خبل

وهل أنت إلا نبعه كان أصلها ... نضارا فلم يفضحك فرع ولا أصل

فهي أصيلة من نسل أصلاء، وجمعت مع الأصالة الذكاء الفائق فهي "جنة عبقرية" لذلك سيطرت على عقل الشاعر ولذلك أيضاً – على ما يبدو – منعته من دخول بيتها بعد ذلك لأنه الصواب.

وكما فاجأت "عبده" الشاعر بمنعه من الدخول عليها دون سابق إنذار فجعته أيضاً بالرحيل دون إخطار(60):

لو بينت لك قبل يوم فراقها ... أن التفرق من عشية أوغد

لشكوت إذ علق الفؤاد بهائم ... علق حبائل هائم لم يعهد

(59) شعره ص 107.

(60) شعره ص 57.

فهي لم تعطه فرصة فتبلغه برحيلها ليشتكي ما يجده من لوعة الفراق ولكنها أكرمته هذه المرة بمنحه لم يحسب لها حساب(61):

وتبرجت لك فاستبتك بواضح صلت وأسود في النصيف معقد(62)

بيضاء خالصة البياض كأنها قمر توسط ليل صيف مبرد

موسومة بالحسن ذات حواسد إن الجمال مظنة للحسد

لم يطغها سرف الشباب ولم تضع فيها معاهدة الصديق المرشد

خود إذا كثر الكلام تعوذت بحمي الحياء وإن تكلم تقصد

وكأن طعم سلافة مشمولة تنصب في إثر السواك الأغيد

وترى مدامعها ترقرق مقلة حوراء ترغب عن سواد الإثمد

فهو كعادته في الصراحة في شعره يعلن أنها سمحت له برؤيتها "وتبرجت لك" فهي باختيارها ظهرت له وهو باختياره يصف ما سمح النصيف برؤيته منها وهو الوجه ذو الجبين الأملس الناصع والشعر الأسود الفاحم الطويل الذي لمح الشاعر أثار تعقيده خلف النصيف فاستنتج أنه طويل وهي ناصعة البياض لها عينان حوراوان كحيلتان، وهي على العموم موسومة بالحسن جميلة، وتجمع مع ذلك كله شباباً ناعماً مترفاً لم يطغها ويصرفها عن سماع النصائح والاستفادة منها، وتتميز بحياء يمنعها من كثرة الكلام، ولكن هل سمحت للشاعر بأكثر من الرؤية كما يتضح من قوله "وكأن طعم سلافه....." أم هو ما يتوقعه الشاعر طعماً لذلك

(61) شعره ص 57.

(62) واضح: جبين. صلت: أملس, النصيف: ثوب تتجلل به المرأة فوق ثيابها كلها.

الريق جرياً على عادة العرب في وصف ريق المحبوبة؟ إن الدارس لشعر الشاعر يميل للرأي الأول فالشاعر لا يصف إلا ما يجد. ثم ينهي هذا الوصف بذكر حزنها على فراقه حتى إن عينيها الكحيلتين تترقرق فيهما دموع حزينة.

وامرأة بهذاالحسن والخلق وبذلك الذكاء والحسب والنسب لابد أنها امرأة سعيدة محظوظة وهذا رأي الشاعر أيضاً(63):

ولدت بأسعد أنجم فمحلها ومسيرها أبداً بطلق الأسعد

وكما أنهى علاقته بالغفارية بالدعاء بالسقيا, أنهى حديثه عن هذه المزنية بالدعاء السقيا(64):

الله يصحبها ويسقي دارها خضل الرباب سرى ولما يرعد

وهذا أطول وصف لامرأة في شعر الشاعر، وقد يكون أجوده، فقد قال هارون الرشيد يوماً لجلسائه: "أنشدوني شعراً حسناً في امرأة خفره كريمة" فأنشدوه وأكثروا حتى قيلت هذه الأبيات, فقال الرشيد: هذا – والله – الشعر لا ما أنشدتمونيه سائر اليوم" ومن شدة إعجابة بهذه الأبيات أمر مؤدب ابنيه الأمين والمأمون بتحفيظهما هذه الأبيات(65).

وكان للأصدقاء دور في تعريف الشاعر ببعض النساء، وانتهى دور الأصدقاء بعد التعارف، وبدأت معاناة الشاعر، فقد تعرف صديقان للشاعر على امرأة من الأنصار فأعجبتهما وأنسا بحديثها، فأرادا أن يعرفاها بالشاعر، فرفضت وأبت وهددتهما إن حضر معهما أنها لن تخرج لهما، وكعادة الشاعر في الحرص

(63) شعره ص 57.
(64) شعره ص 57.
(65) أنظر: الأغاني لأبي فرج الأصبهاني 70/16.

على العلاقات النسائية، لم يهتم بتهديدها واستكثر على نفسه أن يضيع فرصة التعرف هذه، فلما أخبراه بما قالت، ذهب معهما وبقي في بعض الطريق حتى إذا برزت لهما حضر الشاعر وسلم عليهم كأنما قادته الصدفة إليهم، فرحبا به وعرفاه على المرأة الأنصارية فلم يرق لها رؤية كما لم يرق لها سماعاً، فقالت: والله ما أرى فيه من خير، وما أشبهه إلا بعبدنا أبي الجون" فاستحيا الشاعر وجلس قليلا ثم انصرف وقد علقها فؤاده(66) ووثقت نفسه أن لا سبيل للعودة إليها، فقال يذكرها(67):

| | |
|---|---|
| ألا قد رابني ويريب غيري | عشية حكمها حيف مريب |
| وأصبحت المودة عند ليلى | منازل ليس لي منها نصيب |
| وأنسى غيظ نفسي إن قلبي | لمن واددت فائته قريب |
| فدعها لست هاجيها وراجع | حديثك إن شأنكما عجيب |

فقد ساءه حكمها الجائر عليه بأنه مثل عبدهم أبي الجون، وأكتشف الشاعر أنه ليس له من محبتها نصيب، ومع ذلك أعلن الشاعر صراحة أنه مع غيظه وغضبه منها فإن طبعه أن يسامح من يحب لذلك يعرف جيداً أنه لن يستطيع أن يهجوها – وهو الشاعر الذي طرق فنون الشعر وأبدع فيها – وهذا أمر عجيب كما قرر الشاعر.

فالشاعر من طبعه الصراحة لذلك لم يلغ مثل هذه العلاقة، بل وثقها بشعره ولم يخجل أن يعلن عن حكم جائر صدر بحقه منها ورفضها التام له وتعلقه الكامل بها، وعدم قدرته على الرد عليها أو هجائها.

---

(66) أنظر: المصدر السابق 16:71 , 72

(67) شعره ص 34.

فكل علاقة نسائية في حياته من حقها عليه أن تسجل وهذا ما لفت نظري في شعره وزاد من إعجابي بهذا الشعر.

ولم تقتصر العلاقات النسائية ين الشاعر والنساء على منطقة الحجاز ممن قربت ديارهن من دياره أو ضمهم موسم الحج، بل بعدت ديار بعض علاقاته النسائية فوصلت إلى البصرة والعراقيات من الخارجيات. ففي أحدى رحلاته القليلة إلى الحاضرة ذهب إلى البصرة في ميراث له فواجه أول اختبار نسائي صعب، حيث مال قلبه هناك لقريبه له اسمها "عائشة بنت يحيي بن يعمر" وكانت امرأة جميلة جسوراً عاقلة ذات رأي صائب علاوة على مكانة والدها إذ كان من علماء التابعين راوياً للحديث من قراء البصرة المعدودين، عالماً لغوياً ونحوياً معروفاً(68),تولى القضاء بخراسان(69) ثم في البصرة حتى أخر حياته(70) غير ثرائه(71) الذي سينالها منه نصيب، وأراد الشاعر أن يتزوجها ويضمها إلى امرأتيه، فتنتقل معه من البصرة إلى "الروحاء" حيث يقيم، فرفضت ذلك، واشترطت عليه إما أن يقيم معها في البصرة وهذا فيه فراق لزوجتيه، وإما أن ترتحل معه ويكون أمرها في الفرقة إليها وهذا فيه انتقاص لكرامته ،فلما لجأ إلى والدها خيره هو الآخر بين أمرين: الآمر الأول كما ذكرت ابنته، أما الآمر الثاني فهو طلاق زوجتيه لتذهب معه إلى "الروحاء" إذ لا طاقة لابنته بتحمل ضرتين، فأصبح أمامه ثلاثة خيارات مما زاد حيرته فلجأ إلى ابن عمه "وراد بن عمرو" يستشيره في الحل فأعطاه خياراً رابعاً زاده حيرة، إذ عرض عليه أن يقيم معها في البصرة سنة فإن أعجبه المقام فيها فبها، وإلا كتب إليه فقدم له في البصرة وأعاده إلى "الروحاء". فتمسكه بالمرأة جعله لا ييأس منها مباشرة فهو ينتقل من شخص إلى شخص ومن محاولة إلى محاولة، لذلك تابع الشاعر محاولاته في إيجاد حل يجعله لا يفرط في أي من النسوة الثلاث، وأخر محاولاته أن عاد إلى نفسه يرهقها بالتفكير فأمضى ليلة لا

(68) إنباه الرواه للقفطي 4/24-25.
(69) أنظر: معجم الأدباء لياقوت 28/6 – 36.
(70) أنظر: العقد الفريد لابن عبد ربه 260/55.
(71) أنظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 62/16.

يعرف طعم النوم، أخذ منه الفكر إذ يعز عليه أن يفرط في المرأة؛ لذا لم يرحم نفسه من التفكر، حتى اهتدى إلى أن حل وراد ابن عمه فيه عذاب عظيم(72) فكيف يبقى في البصرة والقافلة ماضية إلى المدينة؟فقال(73):

لئن أقمت بحيث الفيض في رجب حتى أهل به من قابل رجبا

وراح في السفر وراد وهيجني إن الغريب إذا هيجته طربا

إن الغريب يهيج الحزن صبوته إذا المصاحب حياه وقد ركبا

قد قلت أمس لوراد وصاحبه عوجا على الخارجي اليوم واحتسبا

فكأن الشاعر يجزع من فكرة رحيل القافلة إلى الديار وتخلفه عنها ولو إلى رجب القادم فحسب فساعة الرحيل وما تهيجه من حزن وما يخالطها من لوعة لا تعرف إن كان الوقت محدوداً أم غير محدود لذا طلب من وراد وصاحبه أن يمرا عليه غداً صباحاً ليصاحبهم في القافلة، وجميل قول الشاعر في البيت الثالث فهو صادر من إنسان خبر الفراق وجرب لوعة الوداع.

لذا رأى الشاعر أنه لا مفر من التخلي عن عائشة بنت يعمر، فقال محزوناً عليها(74):

أرق الحزين وعاده سهده لطوارق الهم التي ترده

وذكرت من لانت له كبدي فأبي فليس تلين لي كبده

وأبي فليس بنازل بلدي أبدا وليس بمصلحي بلده

(72) انظر: الأغاني لأبي فرج الأصفهاني 62/16.
(73) شعره ص 36.
(74) شعره ص 52.

فصدعت حين أبي مودته صدع الزجاجة دائم أبده

وعرفت أن الطير قد صدقت يوم الكدانة شر ما تعده

فهو يكني عن نفسه بالحزين في البيت الأول، فكأنما ينكر نفسه ولا يعرف منها سوى الحزن بسبب هذا الحب، ثم يعقد موازنة بين نفسه وبين ما بسببها جفاه النوم بطريقة يتعاطف فيها المتلقي مع الشاعر فقد لانت لها كبده وقست عليه كبدها، ورفضت تماماً النزوح لبلده وقد استوخم هو بلدها فلا يستطيع العيش فيه ولكن الشاعر لا ينسى كرامته كما لم ينسها لما اشترطت عليه أن يكون الفراق بيدها، فما كان منه إلا أن فارقها مفارقة لا تقارب بعدها شبهها بالزجاج المكسور لا يمكن إصلاحه. ودفعه اليأس إلى اللجوء إلى الطيرة وما أنباته به سابقاً من هذا المصير الحزين.

ثم انتقل الشاعر لمحاولة لإنهاء هذه المعاناة، فليس أمامه إلا الصبر(75):

فاصبر فإن لكل ذي أجل يوما يجيء فينقضي عدده

ما ذا تعاتب من زمانك إذ ظعن الحبيب وحل بي كمده

فهو يختمها باستفهام إنكاري، فلماذا تعاتب الزمان؟ فالحبيب هو الذي رحل والكمد هو الذي حل به فكأنما يريد أن ينهي المعاناة بشكل نهائي.

ويلاحظ هنا أن "عائشة" المذكور فيها الشعر السابق امرأة ممدوحة بالجمال والحسب والنسب والثراء والعقل(76) ومع ذلك لم يتطرق الشاعر لصفاتها المادية أو المعنوية في شعره، فكأنما الشاعر قد استغرقته مشاعره التي ملأت جنبات نفسه فألهته عما سواها.

---

(75) شعره ص 52.

هذه سلسلة العلاقات النسائية في حياة محمد بن بشير، وهو عدد ضخم من النساء وقد يكون وراء هذا العدد مجموعة أخرى لم تصل إلينا مع الأبيات التي ضاعت من شعره، ويبعد عن الظن أن هناك علاقات لم يذكرها الشاعر في شعره، فأحسب الشاعر من حرصه على المرأة يرى كل علاقة نسائية تمثل مرحلة من حياته تستحق التوثيق.

والشاعر في وصفه للمرأة ينطلق من بيئته التي عاش فيها ويدور في فلك الزمان والمكان الذي ارتضاه لنفسه فلم يبحث عن بديلا. فقد أحب الروحاء على صغرها وعزلتها وما يأتيها من قحط(77) وما يشاركهم فيها من جيران يقاسمونهم مواسم المطر(78)، ورفض البصرة ونساءها الثريات والمقام الطيب الكريم بها(79) ورجع إلى حيث يرتضى لنفسه. وفي وصفه للمرأة لم يصف إلا ما يرتضيه ذوقه البدوي وما يتلائم مع شخصيته الأعرابية، فوصف المرأة من ثلاث جوانب: الأول الجمال الخارجي وهو أطول الجوانب, والثاني الحديث عن نسبها وحسبها, والثالث وصف محاسن أخلاقها. وهذه الجوانب الثلاثة تمثل مجتمعة المرأة الممدوحة عند العربي, ويختل توازن الصورة بإسقاط أي من تلك الجوانب.

أما من ناحية الجمال الخارجي فوصف الشاعر المرأة وصفاً شبه كامل من رأسها إلى ساقيها، فوصف الشعر والجبين والعينين والشفتين والأسنان ووصف العنق والذراعين ووصف الخصر والبطن ووصف العجز والساقين وحدد طولها ولونها وعمرها وبين مذاق ريقها وأسلوب مشيتها. وذكر ما يرتبط بهذا الجمال من أدوات الزينة كالسواك والإثمد وسموط الدر والسوار وبعض الملابس كالقناع والنقاب والنصيف وكان في ذلك متبعاً لذوق من سبقه في الجمال فلا يشذ في صفة من الصفات وإن كان في الوقت نفسه مقتنعاً بذلك

---

(76) أنظر : الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 61/16.

(77) أنظر: المصدر السابق 65/16.

(78) أنظر: المصر السابق 16/ 64, 66, 68.

(79) أنظر: المصدر السابق 62/16, 75.

الجمال يشدو به ويتعشقه. وتبرز شخصية الشاعر وذوقه الخاص في وقوفه على صفتين من صفات المرأة تغني بهما أكثر من غيرهما وهما عيونها وبياضها.

وقد تكون العيون هي هاجس الشاعر الأول، وعيون محبوباته عيون عربية كعيون الريم(80) حوراء كحيلة(81). إلا أن الذي أرق الشاعر فعلاً ليس جمالها الخلقي إنما هو تلك النظرات الساحرة التي تتفنن المرأة في إرسالها لمن تحب فتعميه(82) أو تصيبه(83) بل لعلها تقتله(84). والوصف هنا حقيق بالوقوف عنده، فقد خرج عن وصف الجمال الجامد إلى وصف الجمال الحي خرج عن وصف جمال المحبوبة كما خلقه الله إلى وصفه من خلال تأثيره في مشاعره. ولا عجب من تركيز الشاعر على العينين فعينا المرأة هي ما يظهر من خلف النقاب أو القناع اللذين ذكرهما الشاعر في شعره(85) وما يسمح برؤيته من المرأة لذلك فأول ما يلفت نظر العربي في المرأة هو عيناها.

والبياض رداء الحسن لذلك فهو مطلب أكيد في محبوبات الشاعر، فالمحبوبة خالصة البياض تشع نوراً فهمي كالقمر(86) بل تعشي نور القمر(87) ويستخدم الشاعر غير لفظ ليدل على البياض مثل الأدم(88) والهجان(89).

---

(80) انظر: شعره ص 199 البيت (3).
(81) انظر: شعره ص 57 البيت (9).
(82) انظر: شعره ص 74 البيت (8).
(83) انظر: شعره ص 74 البيت (12).
(84) انظر: شعره ص 72 البيت (2).
(85) انظر: شعره ص 44 البيت (3) والبيت (6).
(86) انظر: شعره ص 57 البيت (4).
(87) انظر: شعره ص 74 البيت (71).
(88) انظر: شعره ص 44 البيت(6).
(89) انظر: شعره ص 44 البيت(5).

وكذلك أطرى الشاعر محبوباته من ناحية الأصل كما هي عادة شعراء العرب، ومدحهن من ناحية الحسب أيضاً، ولم يكن الشاعر مبالغاً في ذلك فكل محبوباته عربيات من قبائل معروفة أما من قومه بني خارجة أو من الأنصار أو غفار أو قضاعة... إلخ وكذلك لا ينكر حسبهن فهن مثل سعدي ابنه عمه وعائشة بنت يحيي أبن يعمر وزينب الخارجية البصرية الثرية وغيرهن من النساء اللاتي عرفهن، فهو لا يميل بطبعه إلى امرأة إلا إذا كان عازماً على الزواج بها وهو لن يتزوج من يشك في نسبها أو عليها مأخذ في حسبها.

ومحبوبات الشاعر يتميزن بالأخلاق الفاضلة التي يرتضيها العربي في زوجته من الحياء وقلة الكلام والاقتصاد فيه(90) وعدم التكبر وسماع النصيحة وإنفاذها(91) ويتميزن أيضاً بقلة العتاب(92) والليونة في التعامل(93).

ولم يشذ الشاعر أيضاً عن أسلوب شعراء الغزل في عصره، فاستخدم الوسائل التي تسلحوا بها لتصوير مشاعرهم من وصف طيف المحبوبة(94) الذي يذكره بها كلما أوشك النسيان أن يسليه.

ووصف تمنعها على محبوبها وبخلها عليه(95) .وتحدث عن إهدار دمه إذ هو قتيل الهوى الذي يطلب الخير لقاتله لا الثأر(96). وأعلن عن عبوديته لها بل تمنى أن يستعبده أهلها(97) ليطيل مدة قربة بها.

---

(90) انظر: شعره ص 57 البيت (7) وص 119 البيت (44).
(91) انظر: شعره ص 57 البيت (6).
(92) انظر: شعره ص 44 البيت(7).
(93) أنظر: شعره ص 122 البيت (6).
(94) أنظر: شعره ص 122 البيت (2) و (3).
(95) أنظر: شعره ص 74 البيت (9) و ص 122 البيت (14).
(96) أنظر: شعره ص 72 البيت (6) و ص 75 البيت (20).

ولغة الشاعر التي عبر بها عن المرأة تتناسب تماماً مع الموضوع، فهي لغة سهلة لا صعوبة فيها وإن كان استخدام الألفاظ الدارجة في عصره خاصة في وصفه لجمال المرأة التي قد يكون فيها بعض الصعوبة في هذا العصر، وهذا لا يخرج لغته من حيز السهولة، خاصة أنه مال كثيراً إلى الأسلوب السهل الذي زاد من وضوح لغته ومباشرتها، وهذا لم يهبط بمستوى شعره في المرأة، مما يوحي بتمكن الشاعر من فن الشعر، وقد أضفت عليه الموسيقية التي تميز بها شعره جمالاً دفع المغنين في عصره إلى تلحين بعض شعره والغناء به(98) والغناء في ذلك الوقت هو الذي يساعد على سيرورة الشعر مما يكفل للشاعر الشهرة.

ولم تكن هذه فقط الأبيات التي أوحتها علاقته بالمرأة، فالشاعر مرتبط جدا بالمرأة لا يرى الحياة إلا من خلالها: لذلك وبعيداً عن المرأة التي سعي الشاعر للزواج بها كان له حديث عن نساء من نوع أخر نساء اقتحم الشاعر حياتهن أو ساعدهن على تنفيذ رغباتهن إيماناً منه بأن المرأة شيء له وزن كبير في الحياة.

من ذلك أن جماعة من بني سليم اضطرتهم ظروف القحط أن يرتحلوا إلى الروحاء، ويجاوروا منازل الشاعر، وهناك زوجوا ابنة لهم بمولى من أهل الروحاء, فغضب لها الشاعر، دون أن تشتكي له ورفع أمرها دون توكيل إلى والي المدينة إبراهيم ابن هشام فاستعداه على المولى مما دفع الوالي إلى التفريق بينهما وعاقب المولى بضربة مئة سوط وحلق رأسه ولحيته وحاجبه. فقال الشاعر مسجلاً هذا الحادث شاكراً للوالي(99):

شهدت غداه خصم بني سليم ... وجوها من قضائك غير سود

حمى حدبا لحوم بنات قوم ... وهو تحت التراب أبو الوليد

---

(97) أنظر: شعره ص 74 البيت (5).

(98) أنظر : الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 60/16 , 76.

(99) شعره ص 54.

فجعل المولى خصما لهم وهو – في الحقيقة – خصم للشاعر, ثم قال متشفيا بعقوبته(100):

وفي المئتين للمولى نكال  في سلب الحواجب والخدود

إذا كافأتهم ببنات كسرى  فهل يجد الموالي من مزيد

فأي الحق أنصف للموالي  من أصهار العبيد إلى العبيد

وفي البيت الأخير يبين الشاعر القاعدة التي يرتضيها والإنصاف الذي يراه، وهو أن يتزوج العبد من العبيد وهذا يتلاءم مع ما ارتضاه الشاعر لنفسه، فالشاعر لم يذكر في شعره إلا نساء عربيات من قبائل عربية معروفة، وضرب صفحاً عن القيان والإماء مع أن الشاعر كان في المدينة، حيث يكثر القيان ويتسابق عليهن الشباب، ويتسابقن هن على لفت الأنظار بتعلم العزف والغناء وغير ذلك، ومع ذلك لا يوجد ذكر لعلاقة له مع إحداهن.

وبلغت الرحمة مداها في قلب الشاعر على هند ابنة ممدوحه أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعه لما توفى، فقد بلغ بها الجزع مداه حتى فزع زوجها إلى الشاعر وزوجها رجل أي رجل فهو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب(101) شيخ بني هاشم والمقدم فيهم في زمانه حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرفيه فأمه فاطمة بنت الحسين بن على بن أبي طالب وهو أول من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين رضي الله عنهما(102) ومع ذلك لجأ إلى الشاعر ليخفف عن زوجة حدة حزنها لما عرف به من طيب علاقته بوالدها، ووالدها ليس بالرجل الغفل فهو كثير المال الضيفان(103) وعلاقته طيبة بكل أهل

(100) شعره ص 54.

(101) انظر: نسب قريش للزبيري ص 51, 52.

(102) أنظر: مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ص 180 – 181.

(103) أنظر: جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار ص 481 – 482.

(الفرش) بلد الشاعر, كما هو حال زوجها عبد الله بن الحسن إلا أن لجوء عبد الله بن الحسن إليه قد يكون نابعاً مما لمسه في الشاعر من رقة على المرأة وتعاطف معها قل وجوده في رجال ذلك العصر، ولم يكذب حدس عبد الله بن الحسن إذ لما دخل عليها ورأي الحزن والدموع لم يتملك نفسه وتأثر بحزنها بدل أن يؤثر فيها بتماسكه وصاح بأعلى صوته(104) قائلا(105):

فقومي اضربي عينيك يا هند لن ترى ... أبا مثله تسمو إليه المفاخر

وكنت إذا فاخرت أسميت والدا ... يزين كما زان اليدين الأساور

وقد علم الأقوام أن بناته ... صوادق إذ يبكينه وقواصر

فحرضها على زيادة البكاء، فنفذت كلامه وقامت صاكة لوجهها وعينيها معولة بالبكاء أكثر، وهو يبكي معها ويعول مثل النساء (106), فهو لا يرى بأساً في ترك شيم الرجال إذا كان في ذلك إرضاء للنساء.

والشاعر لشدة تعلقه بالمرأة ومعرفته بمكانتها لا يغفل المرأة الأم في حياة ممدوحيه فهو يعزوهم لأمهاتهم مثل قوله في رثاء أبي عبيده بن عبد الله بن زمعة(107):

أعيني لا تستعجلا الدمع وانظرا ... شبيه ابن أم المؤمنين المودع

فإن أخلاء ابن زينب أصبحوا ... شتات النوى من مصعد ومفرع

---

(104) أنظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 77/16.
(105) شعره ص 84.
(106) أنظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 77/16.
(107) شعره ص 92.

وقال في رثائه أيضاً(108):

ألا أيها الناعي ابن زينب غدوة  نعيت الندى دارت عليك الدوائر

فهو يعزوه لأمه زينب ابنة أم سلمه رضي الله عنها زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم(109) لذلك يذكرنا بأنه إن أشبه جدته فهي أم المؤمنين زوج الرسول صلى الله عليه وسلم فله كل الفخر بهذا الشبه وللشاعر كل الحق بأن يعزوه إليها.

وقال في رثاء سليمان بن الحصين(110):

يا أيها المتمني أن تكون فتى  مثل ابن ليلى لقد خلي لك السبلا

وكان عبد الملك بن مروان – وهو المعروف بتذوقه للشعر – يردد هذا الشعر ويبكي (111) لشدة تأثيره فيه بعد وفاة أخيه عبد العزيز بن مروان إذ وجد فيه تصويراً صادقاً لحال زعماء القوم من أمثال أخيه وخاصة أن أم عبد العزيز اسمها "ليلى"(112) مما أعطى البيت تأثيراً أقوى في نفس عبد الملك.

وقال يمدح زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب(113):

بأبيض مثل البدر عظم حقه  رجال من أل المصطفي ونساء(114)

---

(108) شعره ص 84.
(109) أنظر: جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار ص 481 – 482.
(110) شعره ص 103.
(111) أنظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 70/16.
(112) أنظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص 87.
(113) أنظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 77/16
(114) شعره ص 29.

فعظمته مصدرها قرابته للرسول صلى الله عليه وسلم من ناحية الرجال ومن ناحية النساء فجدته هي فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم.

فمحمد بن بشير الخارجي يعطي صورة واضحة عن شعر الغزل في عصره إذ يمثل شعره نغمه متناسقة مع مقطوعة الغزل في ذلك الوقت، يسير معها حيث سار ركب الشعراء لا يشذ عنهم وتبرز شخصيته المستقلة التي أعطت وزناً لشعره في صدق عواطفه تجاه المرأة واحترامه لهذه العلاقة التي ما كان يبنيها بغرض العبث، بل بغرض الزواج مما تخيله بلاشير غرابة أطوار من الشاعر تدفعه لطلب الزواج من كل حسناء يقابلها(115) على حسب تعبيره. والشاعر يعبر عما يحس فعلاً فلا زيف في مشاعره ولا تزيد، فالمواقف يعرضها كما هي سواء لصالحه أم العكس.

إن شعر الغزل الذي أبدع فيه الشاعر كفل له نصيباً من الشهرة(116) إذ هو موضوع محبب إلى النفوس خاصة من شعراء الحجاز الذين اشتهروا بشعر الغزل، ثم زاد من شهرته الغناء ببعض شعره إلا أن هذه الشهرة لم تكن بمستوى شعراء أخرين في عصره مثل عمر بن أبي ربيعة وجميل بن معمر وكثير عزة ومع ذلك فقد قرنه بلاشير بكثير عزة(117) مع الفارق في الشهرة بين الأثنين وقد يكون ضياع معظم مصار ترجمته حد من شهرته إذ لم يبق من هذه المصادر اليوم إلا كتاب الأغاني، فأبو الفرج الأصفهاني (ت 356هـ) صاحب كتاب الأغاني رجع في ترجمته للشاعر إلى ثلاثة مصادر كانت موجودة بين يديه: المصدر الأول لمحمد بن حاطب الجمحي (ت 86 هـ) الذي كان له كتاب في أخبار محمد بن بشير وأشعاره(118), والمصدر الثاني الزبير بن بكار (ت 256 هـ) ويظهر أن له كتاباً في أخبار محمد بن بشير

(115) انظر: تاريخ الأدب العربي لبلاشير ص 740.
(116) انظر: تاريخ الأدب العربي لبلاشير ص 740.
(117) انظر: تاريخ الأدب العربي لبلاشير ص 740.
(118)أنظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 68/16.

كما له كتب في عدد من الشعراء كما ذكر ذلك صاحب الفهرست(119)، وإن لم ينص على اسم محمد بن بشير، والمصدر الثالث هو أحمد زهير بن حرب – أي ابن أبي خيثمة – (ت 279 هـ) ويبدو أنه ذكره في كتابه أخبار الشعراء إذ هو الأنسب من بين ثبت كتبه الوارد في الفهرست(120) للحديث عن الشاعر, بالإضافة إلى أنه كان له ديوان شعر جعله صاحب الخزانة (ت 1093 هـ) من بين مصادره التي رجع إليها في تأليفه لخزانته(121) ووصف هذا الديوان في شرحه لأبيات مغني اللبيب بأنه "ديوان صغير"(122) مما يعني أنه كان موجوداً كاملاً إلى نهاية القرن الحادي عشر الهجري, إذ لو كان قد ضاع منه شعر لما وصفه البغدادي بأنه صغير ولم يعلق على ذلك وقد يكون أسلوب حياته الذي ارتضاه سببا قويا في عدم شهرة الشاعر؛ إذ أثر البادية وبذلك ابتعد عن الرواة من جماع الشعر ثم إنه بعزوفه عن زيارة المدن والحاضرة لم يمدح الخلفاء والأمراء والولاة المشهورين في عصره كعبد العزيز بن مروان والحجاج بن يوسف الثقفي، مما حد من شهرته، وإن لم ينل من مكانته الشعرية وموهبته الأصيلة مما حدا ببلاشير إلى عده في مصاف كثير عزة (.... - 105هـ).

## المصادر والمراجع

1- إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله النمري في معاني أبيات الحماسة للأسود الغندجاني؛ تحقيق محمد على سلطاني.– ط1 .– الكويت: معهد المخطوطات العربية, 1405هـ / 1985م.

2- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني؛ تحقيق عبد الستار أحمد فراج .– بيروت: دار الثقافة, 1983م.

3- الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي؛ صححه أحمد أمين و أحمد الزين. – بيروت: دار مكتبة الحياة.

4- إنباه الرواة على أنباة النحاه للوزير جلال الدين أبي الحسن على بن يوسف القفطي؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. – القاهرة: دار الفكر العربي: ط1 .– بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية, 1406هـ / 1986م.

(119) أنظر: الفهرست لابن النديم ص 161.

(120) أنظر: الفهرست لابن النديم ص 321.

(121) أنظر: خزانة الأدب للبغدادي 1/ 20 – 21.

(122) شرح أبيات مغنى اللبيب للبغدادي 6/ 165.

5- تاريخ الأدب العربي لبلاشير؛ ترجمة إبراهيم الكيلاني. – ط2 .– دمشق: دار الفكر 1404هـ / 1984م.

6- جمهرة أنساب العرب لابن حزم. – ط1 .– بيروت: دار الكتب العلمية, 1403هـ / 1983م.

7- جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار؛ شرحه وحققه محمود محمد شاكر. – بيروت: مكتبه الخياط.

8- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي؛ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون .– ط2 .– القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1979م.

9- الزهرة لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني؛ تحقيق إبراهيم السامرائي .– ط2 .– الزرقاء: مكتبة المنار, 1406هـ / 1985م.

10 –شرح أبيات مغني اللبيب لعبد القادر بن عمر البغدادي؛ تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق .– ط1 .– دمشق, بيروت: دار المأمون للتراث, 1398 هـ / 1978 م .

11- شعر محمد بن بشير الخارجي؛ جمعه وحققه وشرحه محمد خير البقاعي. – ط1 .– دمشق: دار قتيبة, 1405 هـ / 1985 م .

12- العقد الفريد لأحمد بن محمد بن عبد ربه؛ تحقيق محمد سعيد العريان – القاهرة: دار الفكر.

13- الفهرست لمحمد بن إسحاق النديم. – بيروت: دار المعرفة, 1398 هـ / 1978 م.

14- معجم الأدباء لياقوت الحموي؛ تحقيق إحسان عباس. – ط1. – بيروت : دار الغرب الإسلامي, 1993 م .

15- معجم البلدان لياقوت الحموي – بيروت: دار الفكر.

16- مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني؛ شرح وتحقيق السيد أحمد صقر – مكة المكرمة: دار الباز للنشر والتوزيع.

17- نسب قريش لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري؛ تحقيق أ. ليفي بروفنسيال – ط4 – القاهرة: دار المعارف.